السيطرة على كوفيد-١٩، وتفاقم الظلم:

تأثير تدابير التحكم في الجائحة على الرِّق المعاصر

بقلم:
مجموعة من الناجين بالهند

لقد كشفت جائحة كوفيد-١٩ الستار عن عدم المساواة وعدم الاستقرار في أنحاء العالم وأدت إلى تفاقمه. فقد كان تأثيرها على البشر كارثيًّا، إذ كشفت الأبحاث عن انخفاض حادّ في مستوى الصحة والمعيشة وظروف العمل، إلى جانب تفشّي البطالة. وانتشار تلك الصدمات في المجتمعات أدى إلى تفاقم مظاهر الضعف وارتفاع معدلات الرِّق المعاصر. وبينما تواصل العديد من المجتمعات مواجهة التأثيرات الصحية والاجتماعية للجائحة، فقد شارك أعضاء مجموعة من الناجين في الهند تجاربهم وتوصياتهم بشأن كيفية التغلب على الارتفاع الساحق في الرِّق المعاصر. وفيما يلي ملخّص بما شهدوه:

لقد أدّت البطالة المتفشّية وارتفاع الديون الشخصية وانخفاض الدعم الحكومي إلى إتاحة الفرصة للمُتاجرين بالبشر كي يستغلّوا الأعداد المتزايدة من الذين دفعتهم جائحة كوفيد-١٩ إلى النِّضال من أجل البقاء. وقد سِيق الكثيرون من هؤلاء المضطرين إلى ويلات العمل الإجباري والاستعباد بغرض رد الديون وكان العمل غالبًا في مجال الجنس وفي أفران الطوب. ومع وجود العديد من القطاعات التي لم تستأنف بعدُ أعمالها التي كانت جارية قبل الجائحة، تظلّ سبُل الخروج من الرِّق المعاصر محدودة. بل إن أولئك الذين استطاعوا البقاء في وظائفهم قد شهدوا تدهورًا كبيرًا في الأجور وفي ظروف العمل - ما يعني أن أشكال العمل التي كانت آمنة من قبلُ أصبحت ذات طبيعة استغلالية.

أعرف أشخاصًا سافروا إلى بومباي قبل الجائحة من أجل العمل، وهُم الآن عاطلون ومشرّدون على بُعد مئات الكيلومترات عن موطنهم. لقد أُجبِروا على العمل الاستغلالي لأنهم لا يملكون خيارًا آخر. يقول أرباب العمل إن العُمَّال أحرار في ترك العمل إذا لم يكونوا راضين عنه؛ ولكنهم في الحقيقة مقيّدون لعدم وجود مكان آخر يوفر لهم عملًا أفضل".

في ظل انتشار انعدام الأمن المالي في أرجاء الهند، ازدادت شعبية تطبيقات الإقراض الرقمية، تبعتها زيادة في أعداد مُرابِي القروض الذين يستخدمون استراتيجيات تحصيل قاسية ويفرضون معدلات فائدة مرتفعة بشكل استفزازيّ زادت من بؤس المقترضين. وقد أُجبِر العديد من المقترضين على العمل في أعمال محفوفة بالمخاطر لتسديد ديونهم ولتجنّب التداعيات التي تتضمّن العنف. وقد فرّ آخرون من منازلهم كي لا يجدهم المُقرِضون، ما جعلهم عُرضة لأشكال أسوأ من الاستغلال وهم يحاولون شق طريق جديدة للعيش في العزلة.

ظهور أخطار وأشكال جديدة من الإيذاء

لقد أدّى الإغلاق العالمي الشامل الذي يهدف إلى منع انتشار الفيروس إلى انتشار العُزلة الاجتماعية. وهذا أدّى إلى زيادة كبيرة في الوقت الذي يقضيه البعض على الإنترنت؛ وهو اتجاه استغلّه أصحاب النيّة الإجرامية. استطاع المجرمون، الذين احتمَوا وراء ستار مجهولية الهوية على الإنترنت، أن يستخدموا إعلانات الوظائف الكاذبة والتواصل المستهدَف باستخدام خصائص الدردشة في توظيف المستضعفين من الناس في أعمال استغلالية. وقد أصبحت الفتيات في سن المراهقة بالتحديد فريسة للمجرمين على الإنترنت، وقد تم الإيقاع بالعديد منهنّ في أشكال الاستغلال الجنسي تحت ستار بناء علاقة رومانسية.

في بعض الحالات، استغلّ المجرمون الإلزام بارتداء الكمامة في إخفاء هويّاتهم أو هويات ضحاياهم عن مسؤولي إنفاذ القانون أو شهود العيان.

ارتفاع معدلات التمييز وخسارة التقدّم المُحرَز في المعايير الاجتماعية

تعاني المجتمعات آثارًا غير مباشرة للجائحة، تشمل ارتفاع معدلات التمييز الذي يهدّد بخسارة أعوام عديدة من التقدّم، لا سيما فيما يخصّ النساء والفتيات. لقد أدّت الصدمات التي لحقت بالأُسَر والقيود المفروضة على التنقّل، إلى ارتفاع حادّ في العنف المنزلي. وهناك مخاوف من أن هذه الاتجاهات قد تستمر لفترة طويلة تدوم بعد تلاشي جائحة كوفيد-١٩، وأنها قد تؤثر في الأجيال القادمة. في بعض الحالات، طُردت النساء من منازلهنّ

باستخدام العنف، ليصبحن عرضة للمزيد من الاستغلال والإيذاء. وعلاوة على ذلك، فقد أدّى إغلاق المدارس، والعزلة الاجتماعية، وانتشار الفقر، إلى زيادة معدلات زواج القاصرات والزواج القسري، في ظل مخاوف من تأثير ذلك على الملايين من الفتيات لعدة أعوام قادمة.

في الهند، أُلحقت وصمة الإصابة بالفيروس بالعمال المهاجرين العائدين إلى وطنهم بسبب جائحة كوفيد-١٩ لارتفاع خطر حملهم للفيروس. وعلى الرغم من جهود الحكومة في الحرص على فحص جميع العمَّال العائدين، فقد فُرضت قيود على دخول المَرافق، ما أدى إلى انعزال بيوت كاملة عن مجتمعاتها، ما جعل أفرادها يواجهون فقرًا مُدقعًا، ويصبحون فرائس سهلة للاستغلال.

"يُجبر العديد من الآباء بناتهم الصغار على الزواج من رجال أكبر سنًّا لتخفيف العبء المالي عن الأسرة. وبعض هؤلاء الرجال قد باعوا الفتيات ليتعرضن للاستغلال في مدينة أخرى، وزعموا كذبًا أنهنّ قد هربن. ومع تناقُل هذه القصص، أعرف حالات هربت فيها الفتيات من المنزل فرارًا من هذا المصير، ولكنهنّ تعرضن للاستغلال في الشوارع".

التطلع للمستقبل

جائحة كوفيد-١٩ هي خير مثال على أن بعض الأزمات تؤدي إلى تفاقم أزمات أخرى. ومع أن الجائحة لم تفرّق بين الناس عندما انتشرت على مستوى العالم، فإن الحصة الأعظم من عواقبها كانت من نصيب الفئات الأضعف في العالم، مثلها مثل الكوارث الأخرى. ومع استمرار الاقتصاد العالمي في مواجهة المستويات المرتفعة من التخبُّط، واستمرار فقدان الوظائف، وانتشار المخاوف من عدم التكافؤ في التعافي العالمي، تكون هناك حاجة مُلحّة إلى تدخّلات حكومية أكثر فعالية.

لقد أدت الجائحة إلى تفاقم التفاوتات الاقتصادية والاجتماعية النظامية التي تُعَد من الأسباب الجذريَّة للرِّق المعاصر. ومن الضروري أن يكون هذا التداخل بين الأزمات محورًا للتدخّلات العالمية. على سبيل المثال، يمكن للحلول التي تركّز على التعامل مع الفقر والتمييز والاستغلال أن تمنع انتشار الظروف التي تجعل الناس عُرضة للرِّق المعاصر. وتشمل الأمثلة على التدخلات اللازمة لتخفيف آثار هذه الأزمات المتداخلة: إعداد خطط تحقيق الدخل لمساعدة الفقراء على كسب لقمة العيش، وزيادة الوصول إلى خدمات التعليم، وإطلاق حملات توعية عامّة موجهة حول العنف القائم على أساس النوع الإجتماعي الجندري وزواج القصّر، والدعم المخصّص للفئات المهمّشة.

هناك أسباب تدعو للأمل. فقد سلّطت جائحة كوفيد-١٩ الضوء على تجارب أولئك الذين استغلّهم الاقتصاد العالمي والأنظمة التي تتمسّك بعدم المساواة التي يواجهونها. وقد أدركت الحكومات والقطاعات والمجتمعات بسبب الجائحة أن عليهم إعادة تقييم الأوضاع، وتجديد الوعي والتركيز على المخاطر العالمية ومواطن الضعف والأزمات المتداخلة. كلّ هذا يقدّم فرصة متجدّدة لتعزيز الالتزام بالتصرّف من القطاعين العام والخاص، وحشد الموارد اللازمة للمهمة المُقبِلة.

**دلهي، الهند،
نيسان/أبريل ٢٠٢٠.**

دوائر مرسومة على الأرض توضح أماكن وقوف المهاجرين وهم ينتظرون الطعام. أعلنت الحكومة الهندية في ٢٤ مارس/آذار عن دخول البلاد في حالة إغلاق شامل بعد إشعار مدته أربع ساعات. وهذا أدّى إلى مغادرة العمال المياومون من مراكز المدن الكبرى وعودتهم إلى مجتمعاتهم، مشيًا على الأقدام في أغلب الأحيان.
تصوير ياور ناظر/*Getty Images*.